كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

سيدي الرئيس ، سادتي :

من تقاليد المجامع اللغوية والعلمية في العالم أن يحتفل المجمعيون باستقبال زملائهم الجدد في حفل جامع ، لا للتعريف بهم ، لأن شهرتهم تكون قد سبقت انضمامهم الى من يسمونهم بالخالدين ، بل هي سُنَّة مستحبة اتبعوها ، ووجدوها فرصة يتلاقى فيها أعضاء المجمع وجمهور الأدباء والمتأدبين ليشتركوا في تكريم العلماء العاملين .

وهذه المناسبة التي التقينا فيها تجمع في مغزاها النقيضين : الأسى والعزاء ، فهي تثير في نفوسنا الحزن لفقد زميل عزيز ، كما تغمر قلوبنا غبطةً وسروراً باستقبال خلف له يواصل تأدية رسالته ، ويشارك أعضاء مجمعنا في أعمالهم الرامية الى إعلاء شأن لغة الضاد ، ونشر الثقافة العربية ودعمها . ونرجو الله أن لا تتلاحق هذه المناسبات ، وإن يكن تقدم السن واقتراب الأجل من خصائص المجمعيين في العالم .

أما أنت أيها الزميل الكريم فقد اختارني الرفاق في المجمع لاستقبالك في هذه الجلسة ، فأكرم بها من مهمة محببة الى القلب ، ألتقي فيها بصديق قديم وأرحب بزميل جديد ، وأعرب عن غبطة الأساتذة زملائك في انضمامك اليهم ، لما عهدوه فيك من علم ومن إخلاص للعلم . فأهلاً بك من قادم ، تعقد عليه الآمال في خدمة أغراض المجمع . لقد حللت يا صديقي بين اخوان عرفوك فأحبوك ، ولمسوا فضلك فقدروك وكرموك .

---

(١) الكلمة التي ألقاها الأمير جعفر الحسني في جلسة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور عدنان الخطيب في يوم الخميس الواقع في ١ من كانون الأول سنة ١٩٦٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرفتك وعاشرتك طويلاً ، وعرفك غيري أديباً عاملاً متواضعاً ، صادقاً في أقوالك ، مخلصاً في أعمالك ، لم يجد الغرور والمغريات الى نفسك سبيلاً ، متحلياً بإباء العلماء العازفين عن الشهرة ، الزاهدين في المديح وأهله . ومن كان مثلك قد عرفت به آثاره لا يحتاج الى تعريف .

واذا كان امتداح ذوي السلطان نوافل تطغى عليها في أكثر الأحيان مسحة من الرياء ، فان الثناء على العلماء الذين سلطانهم علمهم يفرضه واجب التكريم للعلم ، فيصدر من قلوب عامرة بالصدق والإيمان ، والسكوت في معرض الكلام جحود . إنك منحت مواطنيك أثمن ما ادخرت ، فحق علينا اليوم أن نبادلك الجميل بمثله ، ولكن أنى للمعسر مثلي أن يبذل وللمقل أن يجود ، ولذا رأيتني أكتفي بالتلميح عن التصريح .

لقد حالفك التقدير منذ نعومة أظفارك ، عندما كنت على مقعد الدراسة ، إذ توسم فيك أستاذك المرحوم محمد البزم عضو مجمعنا الراحل ، النباهة والنجابة ، فكتب في سجلك المدرسي : « أخلاق تسامت النجوم ، وذكاء كانقاد الفراقد ، ومسرعة خاطر وفطنة ، واجتهاد يدل على أنه سيكون من النابغين النابهين » . أفلا يحق لك أيها الزميل الجديد أن تعتز بشهادة أديب حكيم ، وأستاذ لغوي كبير ، يبذل الثناء جزافاً ، ولا يطلق حكمه إلا بالقسطاس المستقيم . ونحمد الله على أنك حققت فراسة أستاذك فيك ، فاذا بك تصبح في العلوم الحقوقية ومصطلحاتها من خدام ثقافتنا البارزين .

سادتي :

لم يكن زميلنا الذي نستقبله غريباً عن مجمعنا ، فقد عرفه المجمع منذ عام ١٩٤٢ محاضراً في هذه الردهة ، يلقي فيها نتائج بحثه في الاصلاح التشريعي في سورية ، وفي تاريخ العقوبة في العالم ، وكذلك عرفته البيئات العلمية ببحوثه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأدبية والقانونية التي تنشرها له دور الطباعة والصحف والمجلات العربيـة ، وكلها تنم على دقة في البحث ، ونضج في التفكير .

تلقى علوم اللغة والفقه على بعض الأجلاء من علماء دمشق ، وتابع تحصيله الثانوي في مدرسة التجهيز الرسمية ، وأتم تحصيله الجامعي في كلية بغداد ، درس فيها العلوم المالية والقانونية ، وحاز الاجازة فيها برتبة الشرف الأولى . ثم نال سنة ١٩٤٧ شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريز .

ومارس المحاماة زمناً ، فكان من العاملين في المؤتمر الأول للمحامين العرب ، وألقى فيه محاضرة قيمة في المصطلحات القانونية في الدول العربية ، كان لها أثر عميق في نفوس المؤتمرين والمشتغلين بالعلوم القانونية .

وفي سنة ١٩٤٥ ولي القضاء ، وتدرج في مناصبه حتى أصبح سنة ١٩٥٣ مستشاراً في محكمة استئناف دمشق ، ثم عين سنة ١٩٥٤ نائباً عاماً في الدائرة القانونية في وزارة العدل السورية .

وفي أعقاب النهضة التشريعية التي قامت في سورية سنة ١٩٤٩ ، ابتدأ الدكتور الخطيب في شرح القوانين الجزائية الجديدة ، فألف في ذلك كتباً نشر أولها سنة ١٩٥٠ باسم (شرح قانون العقوبات) ، وقد أثنت الحكومة السورية يوم ذاك على جهوده في هذا الشرح ، ومنحته وسام الاستحقاق السوري تقديراً له . وجاء في كتاب رئيس الحكومة الى وزير العدل بصدد المؤلف المذكور ما يلي : « لقد اطلعنا على هذا الكتاب ، فأحطنا بما بذله المؤلف من جهود ثمينة حرية بالثناء والشكر ، لذلك نرى أن تتفضلوا بالإعراب له عن تقدير الحكومة لهذا الأثر ، آملين أن يعمد القضاة الى التأليف والنشر لجعل الموضوعات الحقوقية في متناول الجمهور المثقف » .

وتابع الدكتور الخطيب نشر مؤلفاته القانونية منذ سنة ١٩٥١ كان في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مقدمتها كتابه بعنوان (لغة القانون في الدول العربية) نقد فيه لغة واضعي القوانين في تلك الدول ، وقلة اهتمامهم بمصطلحاتها الصحيحة ، وذكر ما ينشأ عن ذلك من أضرار ، ودعا الى ضرورة توحيد المصطلحات القانونية ، والعناية بلغة التشريع والقضاء ، وقد كان لهذا الكتاب صداه العميق في دوائر جامعة الدول العربية ، ولدى المشرعين ورجال القانون في جميع البلاد العربية .

ومنذ عام ١٩٥٤ كلف الأستاذ الخطيب بالتدريس في كليتي الحقوق والشريعة في جامعة دمشق ، فدرّس فيها الاجراءات الجزائية والمدنيه ، والقانون الجزائي ، والقانون الدولي ، كما كلف بالقاء محاضرات في معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة .

وانتخب بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية عضواً في اللجان المشتركة لتوحيد القوانين في اقليمي الجمهورية ، وعين في مستهل عام ١٩٥٩ في منصبه الحالي مستشاراً في مجلس الدولة للجمهورية العربية المتحدة ، واختاره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مقرراً للجنة القانون والعلوم السياسية في الاقليم الشمالي ، وانتهى به المطاف ، قبل أن يكتهل ، الى هذا المجمع ، الذي لا يلج المرشح بابه إلا بعد أن يمتحنه أعضاء المجمع امتحاناً عسيراً ، هو وسائر المرشحين .

وذكرت أنه منذ نحو عشر سنين ، تمنى أحد رؤساء الحكومة السورية على القضاة ورجال القانون ، أن يؤلفوا كتباً ورسائل في موضوعات اختصاصهم وأن ينشروها لتنمية الثقافة الحقوقية بين أفراد الشعب ، ولم يستجب لهذا النداء إلا نفر قليل منهم ، وقد يكون لهم عذرهم ، لأن مهامهم القضائية متعبة ، قلما تتفتح معها القرائح للتأليف ، ولكن الدكتور الخطيب ، كان أحد من لبوا هذا النداء ، وكان من المبرزين بين هذه القلة ، ولعله كان أخصبهم انتاجاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقد رزقه الله نشاطاً وحماساً في وضع عدة مؤلفات قانونية وتاريخية وأدبية ، صدر منها حتى الآن عشرة كتب تشتمل على دراسات عميقة نذكر منها :

١ — لغة القانون في الدول العربية .

٢ — شرح قانون العقوبات ، في جزأين .

٣ — الوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات ، في جزأين .

٤ — المسؤولية الجزائية في قانون العقوبات السوري .

٥ — النظرية العامة للجريمة .

٦ — الوجيز في أصول المحاكمات .

٧ — تطور العقوبة والعقوبات عند البدو .

٨ — المبادئ العامة في قانون العقوبات الجديد .

والذين اطلعوا على كتبه ، ودققوا في صحة جملها وسلاستها ، وما اشتملت عليه من مصطلحات شرعية دقيقة يدركون أن امتحان الأستاذ الخطيب في ولوج المجمع لم يكن جد عسير .

ويسر المجمع أن يرى شباب هذا الجيل يلجون أبوابه ، ويتحملون تبعاته ، ويعملون مع من تقدمهم من الزملاء في خدمة أغراض المجمع ، مواصلين تشييد صرح الثقافة العربية ، والنهوض بلغتها ، وإحياء تراثها ، وبانين كما بنى علماؤنا الأولون ، وواصلين الماضي بالحاضر ، ومؤلفين بين القديم والحديث .

حل الدكتور الخطيب محل المرحوم الشيخ المغربي عضو المجمع العلمي العربي على ما بين السلف والخلف من تباين في السن وفي نوع الثقافة . شاب في الخامسة والأربعين يخلف شيخاً في التسعين من عمره ، وثقافة مخضرمة شرقيه غربية في محل ثقافة اسلامية خالصة . ولكن تجمعهما بالرغم من ذلك خصائص مشتركة ، فكلاهما من بيت علم ودين وتشريع ، نبغ فيه علماء ومؤلفون ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكما جمع الفقيد المغربي بين الأدب والعلوم الدينية ، كذلك جمع الدكتور الخطيب بين الأدب والعلوم الحقوقية ، ونشد كلاهما اصلاحاً في نطاق ما اختص به ، وسلكا فيما أقدما عليه سبيل المدرسة الفكرية المتحررة ، التي تتجلى معانيها في كتبها وبحوثها . فقد جندا قلميهما ومواهبهما لتقويم الانحراف عن محاسن ماضي السلف ، وحثا الكتاب والمؤلفين على الاغتراف من ينابيع تراثنا العربي ، وعلى الوصل بين ثقافتنا العربية القديمة والثقافة الغربية الحديثة .

ولو صرف الأستاذان همهما الى الأدب نثراً وشعراً لكان لهما في هذا المضمار نصيب الأدباء ، لكنهما حولا مواهبهما وسخراها لأغراضهما العلمية ، فنبغا في اختصاصيهما وأديا لأمتهما خدمات جليلة .

وسيبقى هذا المجمع وأشباهه ملتقى جيلين من أعضائه ، فشيوخه اليوم كانوا شباب الأمس ، وسيغدو شباب اليوم شيوخ الغد ، وهذا شأن الخلق فهم دوماً في حل وترحال ، ووداع واستقبال ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وأنت اليوم أيها الزميل الكريم ، أصغرنا سناً ، فالآمال على نشاطك معقودة ، أخذ الله بيدك فيما أنت بسبيله من خدمة لغتنا المضرية وثقافتنا العربية .

وشكراً لمن شرفونا بحضور جلسة استقبالك والسلام عليكم .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net